التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام

إعداد
د. خالد عبد الموجود مصطفي دويدار
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام

خالد عبد الموجود مصطفي دويدار
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: khaled_dor@yahoo.com

ملخص البحث:

هذا البحث يتناول واحدة من الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا وهي: التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام، ونقصد بمقومات المواطنة الصالحة تلك الصفات والسجايا اللازم توافرها في أفراد مجتمع يعرفون واجباتهم نحو خالقهم أولاً ثم نحو أنفسهم وذويهم ومجتمعهم وأمتهم وولاة الأمر فيهم، وعن طريق التربية الإسلامية يعرفون حقوقهم وواجباتهم. وتختلف مقومات المواطنة الصالحة من أمة لأمة باختلاف أساليب التربية المستمدة من تراث هذه الأمة، وترتكز مقومات المواطنة الصالحة في الإسلام على ثلاث دعائم رئيسية: هي التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة على شريعتها ثم التمسك بأخلاق الإسلام، وأخيرا الابتعاد عن مساوئ الأخلاق، وتناول البحث هذه الدعائم بالتفصيل. وتمثلت أهم نتائج البحث فيما يلي: أن المواطنة في الإسلام هي: مجموعة العلاقات والروابط التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن في هذه الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين. وأن مقومات المواطنة الصالحة في الإسلام تقوم على ثلاث دعائم رئيسية: هي التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة على شريعتها ثم التمسك بأخلاق الإسلام، وأخيرا الابتعاد عن مساوئ الأخلاق.

الكلمات المفتاحية: المواطنة، الأخلاق، مساوىء الأخلاق، الرشوة، الظلم.

Having the elements of good citizenship in the light of the teachings of Islam

Khaled Abdel Mawgoud Mustafa Dowidar

Faculty member at Al-Azhar University

Email: khaled_dor@yahoo.com

Abstract:

This research deals with one of the guarantees necessary for the continuation of the blessing of security and stability in our country, namely: having the elements of good citizenship in the light of the teachings of Islam. And through Islamic education they know their rights and duties. The components of good citizenship differ from one nation to another according to the different methods of education derived from the heritage of this nation, and the components of good citizenship in Islam are based on three main pillars: adherence to the Islamic faith and the preservation of its law, then adherence to the morals of Islam, and finally staying away from the defects of morals, and the research dealt with these pillars in detail. The most important results of the search were as follows: Citizenship in Islam is: the set of relationships and ties that develop between the home of Islam and everyone who resides in this home, whether they are Muslims, Dhimmis, or trustees. And that the components of good citizenship in Islam are based on three main pillars: adherence to the Islamic faith and the preservation of its law, then adherence to the morals of Islam, and finally staying away from bad morals.

Keywords: Citizenship, Morals, Bad morals, Bribery, Injustice.

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي هذا العالم الذي يموج بالفتن والقلاقل وتجتاحه الحروب والمجاعات، وتتهدد الإنسانية فيه مخاوف الجوع واليأس والقلق، تعيش البلاد في أمن واستقرار، وتقدم يشهد به كل منصف.

وكما هو معروف تاريخيا فإن ثورات الربيع العربي جعلت البلاد العربية ممزقة سياسياً وجغرافياً واجتماعياً، وأمنياً، وعاش الناس فيها غير آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، حتى شاء الله - جَلَّوَعَلَا - أن يحكم بلدنا من يجعلها واحة آمنة نسير فيها ليلاً ونهاراً في أمن وأمان.

لقد كان توطيد الأمن وتثبيته من أول الأمور التي اهتم بها الإسلام، فالأمن في الأوطان من أعظم النعم التي تفضل الله سبحانه وتعالى بها على بني الإنسان، حتى تتحقق الغاية من خلق البشر وهي عبادته سبحانه وتعالى لابد من الأمن والأمان للفرد والمجتمع.

فقد ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: " من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا " أي جمعت له.

فالحديث دال على أن أمن الإنسان على نفسه وماله وبدنه، وقوت يومه أعظم شيء يحصل عليه، لأن اختلال الأمن يؤدي إلى اختلال الموازين والقيم والأخلاق، فلا مال يستفاد منه بدون الأمن، ولا صحة ولا حياة ترُجى بدون الأمن، ولا استقرار ولا تطور بدون الأمن، فالأمن هو الحياة.

وروى ابن ماجه في سننه عن البراء بن عازب، أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"، إن إزهاق الأرواح البريئة أو ترهيبها تعد جريمة عظيمة، ومفسدة كبيرة تترتب عليها آثار سيئة على الفرد والمجتمع ، ومن أهم تلك الآثار اختلال الأمن، فإذا أصبح المسلم لا يأمن على نفسه تعطلت جميع المصالح الدينية والدنيوية فلا يأمن المسلم على نفسه عندما يذهب لأداء العبادات في أماكنها المعدة لذلك وهي المساجد، ولا يأمن على نفسه عندما يريد الذهاب إلى عمله مصدر عيشه، ولا يأمن الإنسان على نفسه وأهله في بيته ومحضنه، فلا استقرار للفرد والمجتمع في غياب الأمن .

ومن الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام، ونقصد بمقومات المواطنة الصالحة تلك الصفات والسجايا اللازم توافرها في أفراد مجتمع يعرفون واجباتهم نحو خالقهم أولا ثم نحو أنفسهم وذويهم ومجتمعهم وأمتهم وولاة الأمر فيهم، وعن طريق التربية الإسلامية يعرفون حقوقهم وواجباتهم.

مكونات البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد عن معني المواطنة، وثلاثة مباحث هي الدعائم الرئيسية لمقومات المواطنة الصالحة في ضوء الإسلام وهي: المبحث الأول: التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة على شريعتها، المبحث الثاني: التمسك بأخلاق الإسلام، المبحث الثالث: الابتعاد عن مساوئ الأخلاق ثم خاتمة فيها أهم النتائج وفهرس للمراجع والموضوعات.

أرجو من الله جَلَّوَعَلَا أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، كما أرجو أن أكون بهذا الجهد قد ساهمت بما يجب المساهمة به في هذه الظروف في سبيل توعية المواطن المصري بشكل عام والشباب بشكل خاص بما يجب عليهم في سبيل المحافظة على أمن واستقرار بلادهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ خالد دويدار

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

ايميل / khaled_dor@yahoo.com

تمهيد في مفهوم المواطنة

المواطنة في اللغة: على وزن مفاعلة، مأخوذة من موطن على وزن مفعل، والموطن والوطن بمعنى واحد وجاءت من " واطنه على الأمر مواطَنَة، وواطن القوم: عاش معهم في وطن واحد بفعل واطن بمعنى شارك في المكان مولداً وإقامة؛ لأن الفعل على وزن (فاعل)[1].

والمواطنة تعني "الوطن والمنزل تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله.. والجمع أوطان، ومواطن مكة: مواقفها وهو من ذلك، وطن المكان، أوطن أمام الأخيرة أعلى، وأوطنه: اتخذه وطناً، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه[2].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: (مُواطِن [مفرد]:

١ - اسم فاعل من واطنَ.

٢ - مَنْ نشَأ معك في وطن واحد "ناصر النَّائبُ مواطنيه".

٣ - وطَنِيّ؛ شخص منتمٍ إلى بلد يتمتع بالحقوق السياسيّة كافّة وحقّ تولّي الوظائف العامّة؛ لكونه مولودًا فيها أو حاصلاً على جنسيتها "يتساوى المواطنون في الحقوق والواجبات". مواطن عاديّ: لا علاقة له

(١) محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ص ٧٢٥، مكتبة لبنان ١٩٨٤م - بيروت، محمد أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص ٤٢، ط/ ١٦، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ١٩٦٤م.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٥ / ٣٣٨، ط٣، دار إحياء التراث ـ بيروت (د.ت).

بالمؤسَّسات العامّة- مواطن عالميّ: مَنْ يعتبر كلّ البلدان وطنًا له، مَنْ يمكنه العيش في كلّ البلدان كأنّها وطنه.

ومُواطَنَة [مفرد]:

١ - مصدر واطنَ.

٢ - نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانيّة أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعًا "تَفرِض المواطنة على كل الشعوب احترام حقوق الإنسان".

٣ - عدم التمييز بين أبناء الوطن الواحد وسكانه الذين ينتمون إليه على أساس الدِّين أو اللُّغة أو العنصر أو الجنس.

٤ - كون المرء مواطنًا من مواطني دولة، وله فيها حقوق وامتيازات تكفلها له الدَّولة وبالمقابل عليه الالتزام بالواجبات التي تفرضها عليه "أُعطي حقَّ المُواطَنة"

مَوْطِن [مفرد]: جمع مَواطِنُ:

١- اسم مكان من وطَنَ بـ: كلّ مكان أقام به الإنسان لأمرٍ ما

"إذا نبا بكريم مَوْطنٌ فله *** وراءه في بسيط الأرضِ أوطانُ"

٢- وَطَن، بلد "عاد إلى مَوْطِنه الأوَّل".)[1].

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٤٦٢، ط/١، عالم الكتب ٢٠٠٨م.

فالمواطنة: نسبة إلى الوطن، وهي تعني الانتساب إلى المكان الذي يستوطنه الإنسان وإذا كانت صيغة (المفاعلة) لغة تفيد تفاعلا بين طرفين مثل مشاركة بين شريك وشريك، ومزارعة بين مزارع وصاحب الأرض، ومضاربة بين عامل وصاحب مال في التجارة، وهكذا. فإن المفاعلة ههنا بين المواطن والموطن أو الوطن.

والمواطنة بهذا تعني ما بين المواطن ووطنه من مشاعر اعتبارية ولربما بعضها طبيعية تكوينية تختلف بين شخص وآخر باختلاف اعتبارات المواطن باختلاف شخصيته، روحيا أو عاطفيا أو إنسانيا أو قوميا أو ماديا أو تاريخيا، أو بأكثر من اعتبار وفق مستوى ثقافته ومقومات شخصيته.

ومن اختلاف الناس باختلاف ثقافاتهم واعتباراتهم تختلف تبعا لذلك مساحة مفهوم الوطن والموطن ومفهوم ما يشتق منهما.

فالمواطنة إذن كلمة لها أصل عربي وان كانت لا توجد في المعاجم القديمة إلا انها كانت موجودة بمفرداتها (الوطن، واطن، والموطن) فهي مرتبطة بموطن الإنسان ومستقره وانتمائه الجغرافي، لكنها في نفسها كتركيب، ومصطلح تم استحداثها كتعبير عن الوضعية السياسية والمدنية والحقوقية للفرد في الدولة.

وبذلك تكون "المواطنة هي: رابطة التزاميه تقوم في زمان ومكان واحد"[1].

(١) عماد الدين محمد رشيد، المواطنة في المفهوم الإسلامي، ص٢٨، ط/ نحو القمة ٢٠٠٦م ـ دمشق.

المواطنة في الاصطلاح:

يعتبر مفهوم المواطنة من المصطلحات المتأثرة بطبيعة الاتجاه الثقافي والسياسي، ويتطور بحسب الظروف والعوامل المحيطة بالمجتمعات، ولذلك فإن بعض الباحثين يري أن المواطنة تتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري، وبعقائد المجتمعات، وقيم الحضارات، وبالتغيرات العالمية الكبرى، ومن هنا يصعب وجود تعريف لمبدأ المواطنة جامع مانع، وثابت(١).

وبناءاً على تلك النظرة تعددت تعريفات المواطنة واخترت منها ما يلي:

التعريف الأول:

المواطنة: هي صفة ينالها الفرد من الناس ليتمتع بالمشاركة "الكاملة في دولة لها حدود إقليمية(٢).

فهي الجانب السلوكي الظاهر المتمثل في الممارسات الحية التي تعكس حقوق الفرد وواجباته تجاه مجتمعه ووطنه في ضوء مبادئ الدين الإسلامي، ومشاركته الفعالة، والأعمال التي تستهدف رقي الوطن، والمحافظة على مقدراته ومكتسباته.

التعريف الثاني:

المواطنة هي التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص

(١) عيسى الشماس، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية، ص ٤٠، ط/١، اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٨م- دمشق.

(٢) ميشل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تعريب: عادل الهواري، سعد مصلوح ص ١١٠، ط/مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨٤م.

يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين، ولكن عليه في الوقت نفسه واجبات يتحتم عليه أن يؤديها[1].

إذاً فالمواطنة هي حقوق وواجبات تتحقق من خلال الوعي والمعرفة يلزم سعي الفرد لتحصيلها من خلال الوفاء بالتزاماتها وفق وسائل مشروعة يحددها النظام، ويتعلمها الفرد.

التعريف الثالث:

من منطور الإسلام المواطنة هي: مجموعة العلاقات والروابط التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن في هذه الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين[2].

إن المواطنة في الإسلام لا تتعارض مع الولاء والبراء، والأمة الإسلامية ووحدتها، لأن المواطنة مفهوم إنساني لا عنصري في النظرة الإسلامية، وهي تشمل جميع المسلمين.

لقد كان أول لقاء بين الإسلام نظام الدولة وبين غير المسلمين ـ مواطنين في الدولة الإسلامية هو الذي حدث في المدينة المنورة غداة هجرة الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إليها هناك كتب النبي أو أمر بكتابة الصحيفة التي يعرفها التاريخ الإسلامي السياسي باسم صحيفة المدينة أو دستور المدينة أو

(١) تقويم مناهج التربية الوطنية في مراحل التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ص ٤٢، وزارة المعارف وكالة التطوير التربوي ـ الرياض ٢٠٠٤م .

(٢) يحيي عبد الرحمن القحطاني، المواطنة أسسها ومقوماتها، ص٢٠، ط/ مطبعة الفرزدق ١٤١٩هـ- الرياض.

كتاب أهل المدينة.

وبهذه الوثيقة السياسية التي أمر بها الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ التي جعلت غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين إلا ما استثني بنص أو إجماع، وذلك مقتضى الشراكة في الوطن الواحد، ولقد كانت هذه الوثيقة على أساس المشورة، ولم تفرض من قبل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، على الجماعة التي كان لها حضور في المدينة.

أعطت هذه الوثيقة حق المواطنة للمقيمين في المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود وغيرهم بصرف النظر عن العقيدة، وجعلت غير المسلمين في الدولة مواطنين فيها لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين طبقاً للمبدأ الفقهي (لهم مالنا، وعليهم ما علينا)؛ إذ على أساس قاعدة المساواة في الحقوق والالتزامات بين اليهود والمسلمين والنصارى وغيرهم تشكل المجتمع الإسلامي (المجتمع السياسي في المفهوم الإسلامي يحتوي على الأمة المسلمة، وغيرها من المجموعات غير المسلمة)[1].

فالمواطنة هي تعبير عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهي الأفراد المسلمين، والحاكم والإمام، وتُتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي

(١) عياض عاشور، التصورات الدستورية في الإسلام السني، ص٢٣، ط/ مطبعة النجاح الجديدة ١٩٩٩م ـ الدار البيضاء.

يسكنون عليها من جهة أخرى، وبمعنى آخر فإن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغير المسلمين.

لقد اتسع معنى المواطنة ليشمل إضافة إلى النسبة إلى البلد، الشعور بالتعلق به، أكثر من غيره، والانتماء إلى تراثه التاريخي وعاداته ولغته، يتشكل مفهوم المواطنة من خلال الدين الإسلامي، وسياق حركة المجتمع وتحولاته وتاريخه. وفي صلب هذه الحركة تنسج العلاقات، وتتبادل المنافع، وتتحقق الحاجات، وتبرز الحقوق، وتتجلى الواجبات والمسؤوليات، ومن مجموع هذه العناصر المتفاعلة ضمن تلك الحركة الدائبة يتولد موروث مشترك من المبادئ والقيم والسلوك والعادات؛ يسهم في تشكيل شخصية المواطن ويمنحها خصائص تميزها عن غيرها، وبهذا الموروث المشترك حماية وأماناً للوطن وللمواطن، فالمواطن يلوذ به عند الأزمات ولكنه أيضاً يدافع عنه في مواجهة التحديات، لأن المواطن لا يستغني عن الوطن، والوطن لا يستغني عن المواطن، فوجود أحدهما واستمراره المعنوي رهين بوجود الآخر واستمراره.

فالمواطنة حقوق وواجبات، ومبادرة الإنسان ومسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الجماعة التي ينتمي إليها، وهذه الحقوق والواجبات لا تمارس إلا في مجتمع له قيم ومبادئ يستمدها من الدين، فيقيم العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، وتحمل أعباء التضحية من أجل ترسيخ هذه المبادئ وحمايتها وفتح آفاق تحسين ممارستها برؤية تتطلع إلى المستقبل وبحماس لا تطغى فيه العاطفة على العقل والحكمة.

تعريف المواطنة عند الغرب:

عَرَّفَت دائرة المعارف البريطانية encyclopedia Britannica"": المواطنة بأنها: "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"، وتؤكد كذلك على أن المواطنة تدل ضِمناً على مرتبة من الحرية مع ما يُصاحبها من مسؤوليات.

وتُعَرِّفُهَا موسوعة كولير"Collier,s Encyclopedia" الأمريكية، كلمة "citizenship" ويقصد بها مصطلح المواطنة ومصطلح الجنسية دون تمييز بأنها: "أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالاً"(١).

وتطرح دراسة حديثة المواطنة على أنها تجسيد لنوع من الشعب يتكون من مواطنين يَحترم كل فرد منهم الفرد الآخر، ويتحلون بالتسامح تجاه التنوع الذي يَزخر به المجتمع، وأن يُعامل القانون على قدم المساواة كل الذين يعتبرون بحكم الواقع أعضاء في المجتمع، بصرف النظر عن وجوه التنوع العرقية والدينية والثقافية التي ينتسبون إليها(٢).

ويذكر "ما يكل جويس" أن المواطنة فكرة انتخابية في السياسة، وجوهر

(١) علي خليفة الكواري، المواطنة والديموقراطية في البلدان العربية، ص ٣١، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ٢٠٠١م ، نقلاً عن أحمد صدقي الدجاني، مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية، ص ٩٦، مركز يافا للدراسات والأبحاث ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١ .

المواطنة التصويت بأمانة وبروية، وهي أيضا مشاركة فردية فاعلة، في المجال الفسيح للشؤون الإنسانية[1].

ويتضح مما سبق أن المواطنة في المصطلح الغربي، لها صلة وثيقة بالدولة الديمقراطية، والتي تسعي لأن يكون الشعب مصدر السلطة، وفق شرعية دستورية، ويتساوى الجميع فيها أمام القانون بدون تمييز عرقي، أو ديني، وهذا أدي بدوره إلى تطور المواطنة وتقدمها في المجتمع الغربي.

وإذا كانت المواطنة تتضمن المساواة والحرية والعدالة بين المنتسبين إلى وطن واحد، فإن هذه المبادئ لا تكتمل إلا إذا اتسعت المواطنة لتأخذ بُعدها الأممي، وتجعل المواطنة مَبدأً يَضم بين جناحيه جميع البشر على هذه الأرض، فالمواطن هو الإنسان، والوطن هو الكرة الأرضية جمعاء.

ولما كان من الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام، ونقصد بمقومات المواطنة الصالحة تلك الصفات والسجايا اللازم توافرها في أفراد مجتمع يعرفون واجباتهم نحو خالقهم أولا ثم نحو أنفسهم وذويهم ومجتمعهم وأمتهم وولاة الأمر فيهم، عن طريق التربية الإسلامية يعرفون حقوقهم وواجباتهم.

ولما كانت تختلف مقومات المواطنة الصالحة من أمة لأمة باختلاف أساليب التربية المستمدة من تراث هذه الأمة، وترتكز مقومات المواطنة الصالحة في الإسلام على ثلاث دعائم رئيسية: هي التمسك بالعقيدة

(١) على خليف علي خليفة الكواري، المواطنة والديموقراطية في البلدان العربية، ص٣١.

الإسلامية والمحافظة على شريعتها ثم التمسك بأخلاق الإسلام، وأخيرا الابتعاد عن مساوئ الأخلاق كان لازماً علينا أن نفرد كل واحد منها الدعائم ببحث مستقل ولنشرع في المقصود بعون من الملك المعبود.

المبحث الأول

التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة عليها.

لا شك أن التمسك بالعقيدة والحرص على كتاب الله والسير على هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهم ما يحفظ للأمة هويتها وخصوصيتها، كما أن معرفة الإنسان لقيمة ما يملك يجعله شديد المحافظة على مكتسباته، وإذا كان أهل الباطل يحافظون على باطلهم وأصنامهم فما أحوج حملة الحق إلى التمسك به والسير على هداه.

فديننا الإسلامي يشمل على موضوعات كثيرة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام: العقيدة، والشريعة، والأخلاق.

فالعقيدة: تشمل الأمور التي يجب أن يؤمن بها المسلم بقلبه، فهي الجانب النظري أو الفكري فى الإسلام، ويدرسها (علم التوحيد).

والشريعة: هي الأعمال التي طلبها الدين من المسلمين من عبادات ومعاملات، فهي الجانب العملي من الإسلام، ويدرسها (علم الفقه).

والأخلاق: هي الفضائل والسجايا التي على المسلم أن يتحلى بها، فهي الجانب النفسي ويدرسها، (علم الأخلاق)[1].

والعقيدة أصول ثابتة، لم تتغير خلال الرسالات السماوية عبر تاريخ البشرية فقد كان كل رسول يقول لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

(١) د/ محمد ربيع الجوهري عقيدتنا، ١/ ١٧، مكتبة الايمان.

غَيْرُهُ﴾[1]، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [2]، ويقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3] .

أما الشريعة: فهي تختلف فى بعض المسائل الفرعية من دين إلى دين لتتناسب مع ظروف كل مجتمع، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4].

والأخلاق الزكية، وأمهات الفضائل وثمرة للجانبين السابقين، وقد كملت بالرسالة الخاتمة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ)[5].

وقام العلماء بتعريف علم العقيدة، فكثرت عباراتهم، ولا يظن أن كثرة التعاريف، واختلاف العبارات تدل على التناقض، وإنما تعني فى المقام الأول حرية الفكر والنظر العلمي عند علماء المسلمين، وتعني أن العلم إنما نشأ فى أحضان عقول العلماء، ومن قرائح فهمهم.

(١) الأعراف :٥٩.

(٢) النحل: ٣٦.

(٣) الانبياء :٢٥.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) أخرجه البخاري فى صحيحه، كتاب الأدب ،٨ /٢١، رقم ٦٠٨٧.

وتعني أن النظرة إلى العلم قد تختلف من مجال التعريف والتوصيف باختلاف الناظر، فمن نظر إلى منهج العلم كان له التعريف الذى يصدر عن نظرته، ومن نظر إلى وظيفة العلم كان له تعريفه، ومن نظر إلى مسائله كان له تعريفه ...إلخ.

ولما كانت التعاريف قد ازداد عددها، وأغلبها نبعت من الجوانب الإضافية التي أشرنا إليها.

فإننا هنا فى مجال تعريف علم العقيدة سنذكر بعض منها:

١/ تعريف عضد الدين الإيجي(٧٥٦هـ): يعرفه عضد الدين الإيجي في المواقف بقوله: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام" [(١)].

ففي هذا التعريف نظر فيه الإيجي إلى الغاية من علم التوحيد، كما نلاحظ أن فيه تعميم حيث جعل علم التوحيد أداة دفاع لكل معتقد عن عقيدته، لأنه يرى أن المبتدع الذي يسوق بدعته، إنما يعرضها فى قالب استدلالي ويبرهن عليها، وهو بذلك يدخل فى علم التوحيد ما ليس منه وهو المخالف لمسائل علم التوحيد الإسلامي، كما أنه قد يختلط الأمر على بعض العقول فتقبل دون موازنة أو نقد.

٢/ تعريف سعد الدين التفتازاني(٧٩٢هـ): عرف سعد الدين التفتازاني علم

(١) عضد الدين الإيجي، المواقف، ص ٧، دار الكتب العلمية بيروت.

الكلام فقال: "هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"[١].

ويلاحظ أنه أعتبر هنا: عقائد الدين اليقينية، وهي عقيدة الإسلام ولم يلحظ غيرها، فلا اعتبار لديه إلا للمسائل التي تدور حول يقين علم عقيدة الإسلام.

ولقد شاع تعريف السعد حتى وجدناه عند كثير من العلماء، ومنهم صاحب الجوهرة حيث قال: " وحدّوه أي علم التوحيد بأنه: علم يقتدر به على إثبات العقائد، على الغير وإلزامها، بإيراد الحجج ودفع الشبه " [٢].

٣/ تعريف الشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ،١٩٠٥م): ذكر الشيخ محمد عبده تعريفاً لعلم التوحيد فقال عنه: " علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى، وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم "[٣].

ويلاحظ أن الشيخ محمد عبده نظر فى تعريفه إلى موضوعات علم التوحيد الثلاثة:

الإلهيات: وهي تشمل ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حق الله

(١) سعد الدين التفتازاني، تهذيب الكلام، ص: ٨، ط/١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر٢٠٠١م.

(٢) الأمير، حاشية الأمير على الجوهرة، ص ٢٤، مصطفي الحلبي ١٩٤٤م.

(٣) الشيخ محمد عبده، كتاب رسالة التوحيد ، ص ٨ .

تعالى.

النبوت: وهي تشمل ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حق الرسل عليهم السلام.

السمعيات: وهي تشمل الأمور التي لا يستقل العقل بإدراكها، وإنما نعرفها بالسمع من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالشيخ محمد عبده فى تعريفه تحدث عن الشقيين الأوليين، ولم يتحدث عن الشق الثالث السمعيات.

ونلاحظ على هذه التعريفات الكثيرة، التي وإن تباينت في ألفاظها إلا أنها كلها تكاد تتفق على معنى واحد، فهي مجمعة على أن علم العقيدة من شأنه أن يساعد المسلم على نصرة الآراء الدينية الواردة في القرآن والسنة بالعقل.

وهذه التعريفات تبين أن علم العقيدة علم يستطيع المرء من خلاله أن يثبت العقائد الإيمانية إثباتاً صحيحاً، وأن يرد كل الشبهات والانحرافات عن هذه العقائد، كذلك تتفق هذه التعريفات على أن موضوع علم الكلام هو الذات الإلهية: صفاتها وأفعالها وعلافتها بالكون والإنسان.

خصائص العقيدة الإسلامية:

وبعد أن ألمعنا إلى بعض الجوانب من هذه العقيدة، التي هدانا الله تعالى إليها وأكرمنا بها أصبح بإمكاننا أن نستخلص منها أهم ما تختص به من الصفات أو القابليات التي تميزها عن غيرها من العقائد والمذاهب، وترسم معالمها وتحدّد كيانها المستقل، مع الإشارة السريعة إلى شيء من الآثار التي

تترتب على هذه الخصائص[1].ونجتزئ هنا بأهم هذه الخصائص، إذ يمكن أن نرد إليها سائر الخصائص الأخرى:

١- التوقيفية:

فهي عقيدة يوقف بها عند الحدود التي حددها وبينها وبلغها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلا مجال فيها لزيادة أو نقصان أو تعديل أو تبديل؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية ربانية المصدر، موحًى بها من عند الله تعالى، فلا تستمد أصولها من غير الوحي "الكتاب والسنة" "مصادر العقيدة".وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن غيرها من المعتقدات الوثنية التي تُنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية من تلقاء نفسها، كما أنها تميزها عن العقائد السماوية في صورتها الأخيرة التي آلت إليها على يد الأتباع بما أضافوه إليها، وبما حذفوه منها، وبما غيروا فيها وبدلوا، حسب ما أملته عليه أهواؤهم وشهواتهم ورغباتهم الذاتية ومصالحهم البشرية، فتحولت تلك الديانات والعقائد إلى ديانات وثنية[2].

وينص المصدر الإلهي الذي جاءنا بهذا التصور "العقيدة" -وهو القرآن

(١) ومعرفة هذه الخصائص وتحديدها أمر ضروري لأمور كثيرة، وقد كتب الأستاذ سيد قطب -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رحمة واسعة- كتابا كاملا في هذه الخصائص، هو القسم الأول من كتابه الممتع الفريد "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" انظر مقدمته ص٥، ٦.

(٢) اقرأ تفصيلا لذلك في "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"، للشيخ محمد طاهر التنير،"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية، "إظهار الحق" لرحمة الله العثماني، "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ " للندوي، "مذاهب فكرية معاصرة" للأستاذ محمد قطب، "العلمانية" د. سفر الحوالي.

الكريم- على أنه كله من عند الله، هبة للإنسان من لدنه، ورحمة له من عنده، وأن الفكر البشري -ممثلا ابتداء في فكر الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو فكر الرسل كلهم، باعتبار أنهم جميعا أُرسلوا بهذا التصور في أصله- لم يشارك في إنشائه، وإنما تلقاه تلقيا؛ ليهتدي به ويهدي، وأن الهداية عطية من الله كذلك، يشرح لها الصدور، وأن وظيفة الرسول -أي رسول- في شأن هذا التصور، هي مجرد النقل الدقيق، والتبليغ الأمين؛ وعدم خلط الوحي الذي يوحى إليه من عند الله بأي تفكير بشري، أو كما يسميه الله بالهوى! أما هداية القلوب به، وشرح الصدور له، فأمر خارج عن اختصاص الرسول؛ ومرده إلى الله وحده في النهاية[1]: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: ٥٢، ٥٣] . {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ١-٤] .{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦] .

وهذه الخاصية لها أثرها الفريد في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه[2]،كما أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج واحد وتصور

(١) "خصائص التصور الإسلامي" ص٥٢

(٢) ومن نعمة الله تعالى على البشرية أن تكفل بحفظ القرآن الكريم؛ لأنه آخر كتاب =

واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب، ولا تتأرجح، ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية.

٢-الغيبية:

تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بأصول لا تخضع للحس المباشر أو غير المباشر، وإنما تقع في مجال عالم الغيب، وهو العالم الذي غاب عن حواسنا ولا تقتضيه بداهة العقول. فالإيمان بالله -سبحانه وتعالى- هو إيمان بالغيب؛ لأن ذات الله تعالى غيب بالقياس إلى البشر، والإيمان بالآخرة وما يتصل به، هو كذلك إيمان بالغيب، والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب والإيمان بالقدر ... كل هذا غيب يؤمن به المؤمن الذي يريد الهداية: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ٢، ٣].

والإيمان بالغيب نزعة فطرية فطر الله تعالى الإنسان عليها، لا ينكرها إلا جاحد قاصر العقل والعلم. ولذلك فإن التنكر لعلم الغيب من قِبَل الماديين، يبدو في مفهوم العلم الحديث نفسه جهلا وضلالا وبعدا عن العلم والحق؛ لأن العلم المادي لا يستطيع أن يحكم على عالم الغيب؛ لأنه خارج عن

=

سماوي، فليس بعده تاب ولا بعد محمد -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- نبي أو رسول، فاقتضى ذلك حفظ الكتاب، وقد تكفل الله تعالى بذلك وهيأ الأسباب؛ فكان الوحي ينزل مفرّقا، ويأمر النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بكتابته، وكان الصحابة يستظهرونه، وقد مكّن الله تعالى لهذه الأمة التي حملته ونشرته في ربوع العالمين، فبقي ظاهرا محفوظا بالسند المتواتر.انظر: "الموافقات": ٢/ ٥٨-٦١، "الإحكام" لابن حزم: ٤/ ٤٥٣، "الثبات والشمول" د. عابد السفياني ص"١١٦-١٢١".

مجاله، فلا يجوز علميا إنكار شيء لأجل أنه مغيَّب عنا أو غير مُحَس، أو لأنه غير قابل للتفسير، وكم من الأمور التي يتلقاها الناس بعامة والعلماء بخاصة، يتلقونها بالتسليم وهم لم يروها ولم يحسوها[1].

ولذلك فإن كل ما تدعو إليه العقيدة الإسلامية وتقوم عليه من هذه الأمور الغيبية غير متناقضة مع العقل، وليس عنده وسيلة لإنكارها والتكذيب بوجودها، وليس فيها شيء يضطر الإنسان إلى رفضه والتخلي عنه بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الارتقاء العقلي والعلمي. بل الذي يقتضيه العقل على خلاف ذلك: أنها هي الصواب الذي لا يشوبه الخطأ... أما الإيمان والتصديق بهذه الأمور الغيبية "المغيبات" فهما مرتهنان بطمأنينة الضمير وشهادة الوجدان. وكل ما للعقل من الدخل في شأنهما هو أن الأمور التي يكون التصديق بها مخالفا للعقل، فإن صراعا يقوم في شأنها بين العقل والوجدان، ولا يكون إيمان الإنسان بها إلا ضعيفا. وأما الأمور التي لا يكون التصديق بها مخالفا للقياس العقلي، أو التي يساعد العقل على التصديق بها، فإن الضمير يزداد طمأنينة في شأنها، وذلك مما يقوي الإيمان ويزيده أصالة ورسوخا[2].

ولذلك فإن الطريق لمعرفة عالم الغيب والتصديق به إنما يكون عن طريق الخبر الصادق الذي يأتينا عن طريق الوحي، كما يكون عن طريق الآثار التي تدل عليه، والفطرة السليمة تتلقى معرفة ذلك بالتسليم والتصديق[3].

(١) "عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي" ص٥٧-٦٤.

(٢) "الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها" للمودودي ص١١٦، ١١٧.

(٣) "عالم الغيب والشهادة"، ص٣٧.

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس، ويخضع للتجربة الحسية، على ما ذهب إليه المذهب الوضعي التجريبي الذي عُرف به الفيلسوف الأسكتلندي "هيوم" والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية.

كما أن هذه الخاصية للعقيدة الإسلامية لها آثارها الضخمة في حياة الإنسان، فالإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها. وهو -كذلك- سبيل للتقدم العلمي وسعة الأفق في النظر والفكر، وفيه ضمانة أكيدة لاستقامة نفس المؤمن ونظافة سلوكه، عندما يشعر برقابة الله تعالى عليه، وأنه -سبحانه- يعلم السر وأخفى، فهو يعبد الله كأنه يراه، فيرتقي إلى مرتبة "الإحسان".

ومن هنا كانت الأحكام الدينية ضابطا لسلوك الإنسان المؤمن، وطريقا لتنمية الوازع الداخلي "الوجدان" وهذا ما تفتقده المذاهب والقوانين البشرية التي لا تستطيع أن تضبط سوى الأمور الظاهرية. ولعل في هذا إشارة إلى الحكمة من ربط الأحكام التشريعية بتقوى الله تعالى، وبالخوف من عقابه.

٣-الشمول:

وهذه الخاصية نجدها بارزة واضحة في الإسلام الذي رضيه الله تعالى لنا دينا، فهو دين شامل كامل، لم يترك جانبا من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظّمه تنظيما دقيقا شاملا لجميع النواحي، يبتعد به عن النظرة التجزيئية القاصرة التي ترى فيها الأشياء أجزاء وتفاريق لجوانب موزعة

من شيء أصله متكامل مترابط.

ولذلك فإن العقيدة الإسلامية -كأثر لهذا الشمول العام في الإسلام- عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرفنا على الله والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة، وتتمثل خاصية الشمول هذه في صور شتى[1]: إحدى هذه الصور وأكبرها: رد هذا الوجود كله ... بنشأته ابتداء، وحركته بعد نشأته، وكل انبثاقة فيه، وكل تحور وكل تغير وكل تطور، والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه ... إلى إرادة الذات الإلهية المطلقة المشيئة، المبدعة لهذا الكون ولكل شيء فيه ... بقدر خاص وبمجرد توجه الإرادة ... وآيات القرآن الكريم كلها شاهد ناطق بذلك.

وصورة أخرى من صور خاصية الشمول تبدو في الحديث عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها، ممثلة في عبودية الكون والحياة والإنسان، فيبين طبيعتها ونشأتها وأحوالها وعلاقتها فيما بينها، ثم علاقتها بالحقيقة الإلهية الكبرى. ويربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبها، في تصور واحد منطقي فطري، يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة. وهذا أمر بيّن في كتاب الله تعالى والآيات فيه كثيرة.

وصورة ثالثة من صور الشمول في العقيدة الإسلامية: أن الحديث عن

(١) "خصائص التصور الإسلامي" للأستاذ سيد قطب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ص١١٠ وما بعدها، باختصار

تلك الحقائق الكلية السابقة، إنما يأتي في القرآن الكريم بأسلوب يخاطب فيه الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وبكل أشواقها، وبكل حاجاتها، وبكل اتجاهاتها. ويردها إلى جهة واحدة تتعامل معها، وتتوجه إليها بكل شيء ... لأنها خالقة كل شيء ومالكة كل شيء ومدبرة كل شيء. وعندئذ تتجمع هذه الكينونة شعورا وسلوكا وتصورا واستجابة ... في شأن العقيدة والمنهج وفي شأن الاستمداد والتلقي، وشأن الموت والحياة، وشأن السعي والحركة، وشأن الدنيا والآخرة.

وأثر هذه الخاصية البارزة في العقيدة: أن هذا الشمول فوق أنه مريح للفطرة البشرية؛ لأنه يواجهها بمثل طبيعتها الموحدة؛ ولا يكلفها عنتا، ولا يفرقها مِزَقا.. هو في الوقت ذاته يعصمها من الاتجاه لغير الله في أي شأن وأي لحظة؛ أو قبول أية سيطرة تستعلي عليها بغير سلطان الله، وفي حدود منهج الله وشريعته في أي جانب من جوانب الحياة، فليس الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده في أمر "العبادات" الفردية؛ ولا في أمر الآخرة - وحدهما- بل الأمر والهيمنة والسلطان لله وحده، في الدنيا والآخرة، في السماوات والأرض، في عالم الغيب والشهادة، في العمل والصلاة.. وفي كل نَفَس، وكل حركة، وكل خالجة، وكل خطوة، وكل اتجاه:{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤].

٤-التكامل:

وإذا كان هذا الدين قد بلغ ذروة الكمال والتمام والشمول، فإن العقيدة كذلك عقيدة تتميز بالتكامل، فهو كمال متكامل، تتجمع فيها كل الأجزاء

وتترابط ترابطا دقيقا يأخذ بعضها بحُجَز بعض لتشكل كلا موحدا متناسقا، لا يقبل التجزئة والانفصام. ولذلك فإن الأحكام فيها تؤخذ "كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر ببيِّنها ... إلى ما سوى ذلك من مناحيها"[1].

ونجد للتكامل في العقيدة صوراً شتى: فأركان الإيمان كلها مترابطة ارتباطا وثيقا، يكمل كل منها الآخر ويرتبط به، بحيث لو حصل إخلال بواحد منها أو إنكار له، كان تأثيره على سائرها واضحا، بل إن هذه الأركان تتجمع وتتضامّ حول الركن الرئيسي وهو الإيمان بالله تعالى.

ومن هنا تأتي أركان الإيمان كلها في سياق واحد يحقق صفة الإيمان لصاحبها، وتأتي النصوص القرآنية كذلك لتؤكد على الارتباط بين الإيمان بالله والإيمان بالملائكة، وتقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر، وتجعل الإيمان بالرسل أمرا لا يتجزأ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعا، بل قد كفر بالله تعالى؛ لأنهم جميعا جاءوا من عند الله -سبحانه وتعالى- برسالة واحدة، وقد قرر الله تعالى ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وصورة أخرى لهذا الترابط نجدها في الصلة بين العقيدة أو الإيمان من جانب والعبادات والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية العملية والخلقية. وتمتزج فيها الأحكام التشريعية بالأحكام الأخلاقية النابعة من الإيمان بالله تعالى وخشيته وتقواه.

(١) "التفكير الفلسفي الإسلامي" د. سليمان دنيا ص٢٤٧، ٢٤٨.

وصورة ثالثة لهذا الترابط والتكامل في العقيدة نراها في تكامل الفكر والعمل أو الإيمان والعمل حيث أصبحا "شيئين يكمل بعضهما بعضا، ويقوي بعضهما بعضا، أو هما جانبان لشيء واحد، إذ رسوخ الفكرة الإسلامية يدفع للعمل بمقتضاها، والمواظبة على العمل بمقتضى الفكرة الإسلامية، يدعمها ويزيدها رسوخا.

"ثم إن الاتصال بوحي السماء يجعل للفكرة الدينية في جملتها مصدرين يمدّانِها بالغذاء والنماء، وهما العقل والقلب. ومن أجل ذلك سميت الفكرة الإسلامية إيمانا وعقيدة، واعتبر العمل خاصتها اللازمة لها"[(١)].

ولهذه الخاصية آثار تظهر في التناسق مع الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، فالإنسان بما فيه من تكامل في أصل الخلقة يجد الطمأنينة والراحة النفسية في هذا التوافق والتكامل في العقيدة وآثارها، وبذلك ينزع الإسلام من نفس الإنسان عوامل القلق والاضطراب.

كما أن هذه الخاصية توحِّد اتجاه الإنسان وحركته بما تقوم به من "التوفيق التام بين الوجهتين: الروحية والمادية في الحياة الإنسانية. وإنك لترى هاتين الوجهتين في تعاليم الإسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضا أساسيا بين حياة الإنسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب، ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعلًا أمر يؤكده الإسلام، إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة"[(٢)].

(١) الشاطبي، "الاعتصام": ١/ ٢٤٥.

(٢) لمحمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق" ص٢٢.

٥-التوازن:

ومع هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية أخرى بارزة في العقيدة الإسلامية، تتصل بواحدة من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلكم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقرابة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعا في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة"(١).

وبهذه الخاصية يتميز الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب أجمعها، حيث تضخِّم جانبا وتُعنَى به على حساب الجوانب الأخرى، وإما أن يكون ذلك ابتداء، وإما أن يكون ردة فعل أو معالجة لخطأ سابق.

وقد ضرب ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أمثلة على وسطية الإسلام هذه بين الأديان، في الموقف من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- بين جفاء اليهود وغلوّ النصارى، وفي شرائع دين الله تعالى بين اليهود الذين حرّموا على الله أن ينسخ ما يشاء أو يحكم ما يشاء، وبين النصارى الذين جوزوا ذلك لعلمائهم، وكذلك في وسطية الإسلام بينهما فيما يتعلق بالحلال والحرام، وفيما يتصل بأسماء الله وصفاته(٢).

(١) محمد المبارك، "الفكر الإسلامي الحديث" ص٦٥.

(٢) لابن تيمية، "الوصية الكبرى"، ص٤٧-٥٢.

والمذاهب المادية تُعْنَى بجانب المادة وتهمل الروح، أو تُعْنَى بالفرد وتهمل مصلحة الجماعة، وتقوم مذاهب أخرى لتُعلي من شأن الروح على حساب القيم الأخرى، أو لتغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد الذي تعتبره كما مهملا، لا قيمة له بمفرده.

والصور التي تأتي شاهدا على هذا التوازن تعز على الحصر، فإن كل ما في الإسلام وكل ما في العقيدة الإسلامية ناطق بهذا التوازن الدقيق، حسبنا هنا الإشارة إلى أهم الموازنات التي عرض لها الأستاذ سيد قطب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في "خصائص التصور الإسلامي"[1].

ومن ذلك: التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية.

وهذه الخاصية لها أثرها الكبير في عصمة هذه الأمة عن الغلو والإفراط وعن النقص والتفريط، وعن التأرجح بين المذاهب والأفكار القاصرة، والأخطاء الناتجة عن الوقوع في الانحراف بكل قيمة عن مكانتها اللائقة بها.

من هنا فإن العقيدة الإسلامية الحقة تولد في نفس معتقدها طمأنينة نفس، لا قلقا نفسيا يدمر الإنسان، بل أمنا يدفع إلى العمل والإنتاج وهي

(١) محمد قطب، "منهج التربية الإسلامية"، ١/ ١٢٦-١٨٠.

تذكر المسلم دائما بربه وتبعد عن الانهماك في مشكلات الحياة ناسيا ربه، بل توجد رقيبا داخليا على المسلم من نفسه، وتجعل المسلم عفيفا شريفا، وتحد من الصراع والاحتكاك والاعتداء والظلم، بهذا تصلح أمور المجتمع وتستقيم حياته اليومية.

فالمسلم يضع نصب عينيه دائما أن الله فوقه يسمع ويرى وأنه مطلع على عمله وأنه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة وأن تقوى الله شرط كي يعلمه الله ويفتح أمامه كل سبيل، وأن كل ما أوصى به الله في كتابه وما أوصى به رسول الله في سنته لا بد أن يكون أمام عينيه في كل تصرفاته.

فالأمن أثر من آثار الإيمان، وثمرة من ثمرات العقيدة والتوحيد، والإيمان هو: (قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان).

إذا الإيمان ضاع فلا أمان *** ولا دنياً لمن لم يحي ديناً

ومَنْ رضي الحياة بغير دين *** فقد جعل الفناء لها قريناً

والأمن هو الاستقرار في النفس، والطمأنينة في البلد على المال والأهل والولد، ولا يتأتى للإنسان إلا بإخلاص التوحيد لله تعالى وصفاء العقيدة، مِنْ أدران الشرك، ونبذ كل ما يُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان، والحياة بلا أمن وعقيدة، كجسد بلا روح:

إِنَّ العقيدة نِدٌّ للحياة فإنْ *** ضَاعتْ فكُلُّ حياة بعدها عدم[1]

وللمسلم تراث سلوكي قل أن يوجد في أي تراث حضاري في العالم،

(١) خالد دويدار، البراهين العقلية والنقلية علي العقائد الإيمانية، ص٤٥.

ثروة هائلة من السلوكيات قررها أدب الإسلام من عهد الرسالة إلى الخلفاء الراشدين إلى التابعين من الصالحين بسلوكهم اليومي تضرب الأمثال علما وأدبا وتصرفا في المواقف اليومية، وبالجملة فإن من أراد للمواطنة الصالحة نماذج فليبحث عنها في تراث المسلمين الذين ملأوا الدنيا علما وأدبا، وكانوا في المواطنة الصالحة حقا وصدقا خير أمة أخرجت للناس.

المبحث الثاني

التمسك بأخلاق الإسلام

كثيراً من نستخدم كلمة خلق فى حياتنا اليومية وخاصة فيما يتعلق بأفعال الإنسان، وكلمة خلق تطلق على الأخلاق الحسنة والأخلاق القبيحة معاً، إلا أنه عند الإطلاق قد يقصد به الأخلاق الحسنة بصورة أكبر، ومما يؤيد ذلك أننا حين نقول عن شخص ما أنه على خلق فإننا نقصد بذلك أنه على خلق حسن، وسوف نعرف فيما يأتي معنى الخلق فى اللغة وفى الاصطلاح.

تعريف الخلق فى اللغة:

الخلق كما جاء فى مختار الصحاح: " بسكون اللام أو ضمها: السجية، والخليقة هي الطبيعة والخلقة هي الفطرة. سواء كانت خيرا أوشرا"[(١)].

فالخلق فى اللغة: السجية والطبع والمروءة والدين، ويراد به الصورة الباطنة من الإنسان التي لا يدركها الحواس، والتي هي صورة النفس وقواها، وأوصافها ومعانيها المختصة بها والتي يتعلق بها الثواب والعقاب، فهما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة.

ويقابله (الخلق) بفتح وسكون اللام، ويطلق ويراد به الكذب يقال خلق الكذب يخلقه يعني اختلقه وافتراه، ويطلق ويراد به التقدير، يقال خلق الثواب

(١) مختار الصحاح ،١٢٠/١ مادة "خلق".

إذا قدره وقاسه قبل أن يقطعه[١].

إذن فالخلق يدور فى اللغة حول الطبع والعادة والسجية.

والفرق بين هذه الأمور هو:

أن الطبع يشمل الأمور الفطرية التي تدخل فى تكوين الخلق.

أما العادة فتشمل الأمور المكتسبة الداخلة فى تعريف الخلق.

أما السجية فتشمل كلا الأمرين أي كل ما هو فطري أو مكتسب[٢].

تعريف الخلق في الاصطلاح:

عرف بعض العلماء الخلق بوجه عام بأنه (عادة الإرادة) يعني أن الإرادة إذا اعتادت شيئاً فعادتها هى المسماة بالخلق فإذا اعتادت الإرادة العزم على الإعطاء سميت عادة الإرادة هذه خلق الكرم[٣].

وهناك من عرفه بأنه: تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار[٤]، فالكريم هو الذي يتغلب عليه الميل إلى الإعطاء، ويوجد عنده هذا الميل كلما وجدت الظروف الداعية إليه إلا في أحوال نادرة وهي فقده المال مثلاَ.

(١) د/ جمال عفيفي، اسس فلسفة الأخلاق، ص ٤١، والأخلاق النظرية والعملية فى الإسلام، د/ حسن جبر، ص ١١.

(٢) د/ قنديل محمد قنديل، الأخلاق الإسلامية والفلسفية، ص١١.

(٣) أحمد أمين، الأخلاق، ص ٥٠.

(٤) منصور على رجب، تأملات فى فلسفة الأخلاق، ص ٩٠، د/ محمد يوسف موسى، مباحث فى فلسفة الأخلاق، ص٥٩.

إذن ليس الخلق هو الفعل فرب شخص خلقه السخاء، أي يملك الإرادة والميل إلى البذل ولكنه لا يبذل لفقده المال، والعكس صحيح حيث يكون خلقه البخل ويفعل البذل رياء الناس.

وعلى هذا يكون الرجل الكريم هو الذى يتغلب عليه الميول الكريمة باستمرار أما من لا يتغلب عليه ميل خاص باستمرار فلا خلق له فالذي يتوفر له ظروف الإعطاء فيعطي مرة ويبخل مرة فى نفس الظرف فليس كريماً ولا بخيلاً وليس له خلق ثابت.

من هذا نفهم أن الخلق صفة نفسية لا شيء خارجي أما المظهر الخارجي للخلق فيسمي سلوكاً والسلوك دليل الخلق[1].

وإذا أردنا أن نلجأ فى فهمنا لمعني الخلق إلى بعض الفلاسفة والمفكرين نجد الآتي:

يقول ابن مسكويه:" الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً

(١) د/ عزة محمد حسن، دراسات فى علم الأخلاق، ص ٤٩.

حتى يصير ملكة وخلقا"[١].

أما الإمام الغزالي فإنه يعرف الخلق بأنه: " هيئة فى النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية"، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً[٢].

ولا شك أن هذا التعريف عند الغزالي ومن قبله تعريف ابن مسكويه من كون الخلق (غير صادر عن فكر وروية) فإن هذا الكلام يلغي الإرادة الإنسانية، والإرادة هي أساس العمل الأخلاقي، وفى نفس الوقت أساس المسئولية والجزاء، وصدور الفعل الإنساني بدونها، إنما هو عدم للمسئولية، وإنما يبرر للغزالي وابن مسكوية هذا الكلام فى حالة إذا صار الخلق سجية فأنه في هذه الحالة يدفع صاحبه بدون فكر وروية[٣].

ويروي (حاجي خليفة) فى مادة (خلق) عن ابن صدر الدين الشروان، أنه قال فى تعريفه للخلق: إن الخلق هو: " العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، وهو العلم بالرذائل أيضاً وكيفية توقيها لتتخلى النفس عنها"[٤].

تكاد تجمع التعاريف السابقة للخلق على أن الخلق ليس إلا كيفية

(١) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٤١.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، ٥٢/٣.
(٣) د/ محمود عبد المعطي بركات، مباحث فى الأخلاق، ص٧١.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ٤٤٥/١٤.

نفسية ثابتة تصدر عنها أعمال صاحبها خيرة أو شريرة صدوراً سهلاً بغير معاناة نفسية أو فكرية، والذي نراه أقرب هذه التعاريف إلى الصواب هو تعريف ابن صدر الدين الشروان والغزالي؛ ذلك لأن هذه التعاريف تتوافق مع طبيعة الخلق وخصائصه.

وسائل تكوين الاخلاق الفاضلة :

ذكرنا فيما سبق أن من الأخلاق من يولد مزوداً به، ومنها ما يكتسبه الإنسان من بيئته، وفيما يلي نعرض لأهم الوسائل التي تساعد في تربية الأخلاق الفاضلة:

الوسيلة الأولى: الوعظ والنصيحة:

الوعظ: هو التعريف بالخلق الفاضل، والحث على امتثاله، وبيان الخلق السيء، والتنفير منه، وهو: " التذكير بالخير بما يرقق القلب"[1].

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[2].

أما النصيحة فهي:" كلمة جامعة مشتقة من مادة (ن ص ح) الموضوعة لمعنيين:

أحدهما الخلوص والبقاء، والثاني الالتئام والرفاء، يقال: نصح الشيء

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٢٤٠/٥.

(٢) النحل:١٢٥.

إذا خلص، ويمكن أن يكون النصح والنصيحة من هذا المعني؛ لأن الناصح يخلص المنصوح له عن الغش.

والمعني الثاني: نصح الثوب نصحاً: خاطه... ويمكن أن تكون النصيحة من هذا المعنى؛ لأن الناصح يرفأ زائرة ويصلح حال المنصوح له، كما يفعل الخياط بالثوب المحروق"[1].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)[2].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[3].

هكذا يتكرر ذكر الموعظة والنصيحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة باعتبار أنهما من أهم وسائل تربية الخلق وتكوينه، والموعظة قد تكون مباشرة، وقد تأتي من خلال قصة، وقد تأخذ صورة المثل، وقد تتضح من خلال حوار فمن الموعظة المباشرة نصيحة لقمان لأبنه: قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ..... الآيات)[4].

فهذه نصائح مباشرة وواضحة من أب إلى ابنه تدع إلى بر الوالدين،

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٦٣/٥.

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ٧٤/١برقم ٥٥.

(٣) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، ١٥٠٦/٣برقم ١٨٩٣.

(٤) لقمان:١٣- ١٩.

وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على البلاء والرضاء بالقضاء، كما تدع إلى التواضع وعدم الغرور وغض الصوت.

الوسيلة الثانية: تعود الخلق الفاضل:

يولد الإنسان صفحة بيضاء، مستعداً لقبول الخير، أو قبول الشر، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[1].

ذكر بعد ذلك الصفات التي تؤدي إلى تزكية الفطرة الإنسانية وتطهيرها مما قد يشوبها أو يلوثها فقال: (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [2].

فالإنابة إلى الله وتقواه، وإقامة الصلاة والبعد عن مظاهر الشرك، كل ذلك يصون الفطرة ويدفعها إلى الخير والفضيلة.

من هنا كانت أهمية التدرب والتعود على فعل مكارم الأخلاق حتى تصير عادة للمسلم سهلة ميسرة، ولعل هذا بعض ما يفهم من حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[3].

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية، فيحول الخير كله إلى عادة، تقوم بها النفس بغير جهد، وبغير كد، وبغير مقاومة.

(١) الشمس: ٧-١٠.

(٢) الروم: ٣١، ٣٢.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه في المقدمة، ٨٧/١، رقم ٢٢١، واللجاجة: الخصومة.

وفي الوقت ذاته يحول دون الآلية الجامدة في الأداء، بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة، والربط الحي بين القلب البشري وبين الله، ربطاً تسري فيه الإشعاعة المنيرة إلى القلب، فلا ترين عليه الظلمات.

وقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين: إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطيء، حسب نوع العادة التي يعالجها وطريقة تمكنها من النفس.

فكل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بالله، فقد قطعها قطعاً حاسماً من أول لحظة، فهي كالأورام الخبيثة في الجسم، ينبغي أن تستأصل من جذورها، إلا فلا حياة.

والشرك بكل عاداته وتصوراته، من عبادة للأوثان، واجتماع حولها واداء لمراسم معينة من اجلها، كل ذلك قطعة من أول لحظة، وبضربة حاسمة؛ لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشرك.

وعادة مثل وأد البنات لم يكن يمكن مهادنتها، وهي تقوم على أساس غير إيماني ولا إنساني، والخوف من الفقر - وهو الدافع الأول لوأد البنات- لا يجوز أن يخالط النفس المؤمنة المطمئنة إلى الله، ثم إنه ظلم لا يستقيم مع (الحق) الذي خلقت به السماوات والأرض وكذلك العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر ...إلخ.

كان لابد من مواجهتها مواجهة حاسمة، وإن كانت الوسيلة إلى ذلك هب التوجيه المحيي للقلب، والاتصال بالله في السر والعلن، وفي الأخذ والعطاء.

وكلها عادات يمكن أن تنتقل فيها النفس باللمسة الموحية في لحظة واحدة من أقصي الشمال لأقصي اليمين دون تدرج ولا إبطاء!

اما العادات الاجتماعية التي لا تقوم على مشاعر الفرد وحدها، وإنما ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة، فقد لجأ فيها التدرج البطيء مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب.

الخمر والزنا والربا... لم تكن عادات فردية وجدانية بقدر ما كانت عمله سارية في المجتمع، وهي كذلك ليست من العادات التي تستطيع كل نفس أن تحسم موقفها منها، فلا يعاودها الحنين ولا تعود.

لذلك لجأ في علاج كل منها إلى التدرج على مراحل ودرجات، أو أخر تحريمها حتى اكتمل نمو المجتمع المسلم[1].

هكذا كان موقف الإسلام من العادات التي كانت موجودة في البيئة الجاهلية أيام نزول القرآن.

وأسلوب العادة من أنجح الأساليب في بناء الخلق الكريم، ويكون أكثر تأثيراً وأوضح نتائج إذا استخدم في غرس الأخلاق الفاضلة من السن المبكر للإنسان أي في مرحلة الطفولة.

فتعود الطفل من صغره على الخير يكسبه محبة له، فيصير له عادة، يقول أبو حامد الغزالي:

"علم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان

(١) منهج التربية الإسلامية، ١/٢٠٠.

أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا} ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته..."[1].

ويشرح لنا الإمام الغزالي رحمة الله عليه كيفية الوصول إلى حسن الخلق فيري أن ذلك: " يحصل وجهين

أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم

(١) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣/٧٢.

أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم

والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه

وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وجعلت قرة عيني في الصلاة..."[1].

هكذا يمكن أن تستخدم العادة في تكوين الأخلاق الفاضلة.

(١) المرجع السابق، ٣/٥٨.

الوسيلة الثالثة: صداقة الأخيار:

للصداقة أثرها البالغ في تكوين الخلق، فإذا كان الصديق صالحاً تقياً، كان له دوره في ظهور الخلق الفاضل المحمود، وإذا كان الصديق فاجراً منحرفاً عن منهج الله، كان له أثره في وجود الخلق السيء المذموم.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:" المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل "(١).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: " إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة "(٢).

وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ** فكل قرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ** ولا تصحب الأردى فتردى من الردي

والإيمان أول الشروط وأهمها في الصديق: قال تعالى: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)(٣)، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:" لا

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٩٨/١٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ٢٠٢٦/٤ رقم ٢٦٢٧.

(٣) النجم:٢٩.

تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى"[1].

ولابد أن يكون الصديق عاقلا حكيماً، فلا خير في الصداقة الحمقى، فقد يريد الأحمق أنن ينفعك فيضرك بحمقه وجهله، قال على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فـلا تصـحب أخـا الجهـل ... وإيـــــاك وإيـــــاه

فكـــم مـــن جاهـــل أردى ... حـــليماً حـــين آخـــاه

يقـــاس الـــمرء بـــالمرء ... إذا مـــا المـــرء مـــا شـــاه

وللـــشيء مـــن الشـــيء ... مقـــــاييس وأشـــــباه

وللـــقلب عـــلى الـــقلب ... دلـــيل حـــين يلقـــاه

وينبغي أن يكون الصديق حميد الأخلاق، حسن السلوك، طيب العشرة، يؤثر الخير على الشر، ويعين على طاعة الله تعالى، إن نسى صديقه ذكره، وإن ذكر أعانه؛ لإن سيء الخلق عدو نفسه، فكيف يكون صديق غيره!!

" وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى

(١) رواه أبو داود، في كتاب الأدب، باب من يؤمن أن يجالس ١٦٧/٥ رقم ٤٨٣٢.

وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك...

وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك"[1].

وكلما كان الصديق مخلصا في صداقته، صادقا في صحبته، كان أثره في بناء الخلق الحميد أبلغ وأعظم؛ لأنه سيكون رقيباً على صديقه، يلاحظ أحواله وأفعاله، فيشجعه على الخير، وينبهه ويحذره من الشر.

"كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على

(١) احياء علوم الدين ٢/١٧١، ١٧٢.

جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ"[1].

الوسيلة الرابعة: الثواب والعقاب:

وهذا عامل هام من عوامل بناء الخلق الفاضل، وتكون السلوك الحميد، فللمحسن جزاؤه على التزامه بمكارم الأخلاق، قال تعالي: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [2].

وعلى مربي النشأ الذي يريد أن يغرس فيهم الأخلاق الفاضلة، ويؤسس فيهم الصفات الحميدة، أن يستخدم أسلوب المثوبة المادية والمعنوية لتحقيق عرضه، فتارة يثني على من يتخلق بالأخلاق المحمودة، وتارة يمحنه الجوائز المالية، وتارة يهبه الهدايا المادية، وتارة يجعل له القيادة على زملائه، فيشد ذلك من أزره، ويشجع أقرانه على التزام مكارم الأخلاق، فهذا منهج الإسلام. وإذا كان للمثوبة دورها، فكذلك للعقوبة أثرها.

"وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة، وتكره ذكرها على اللسان!

والعقوبة على درجات وينبغي أن لا نلجأ إلى الأشد إلا بعد فشل الأخف مع مراعاة الظروف والملابسات، ومن أنواع العقوبة:

أولاً: التأديب والتوبيخ: كما حدث من الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للصحابي

(١) المرجع السابق، ٣/٦٤.

(٢) النحل:٩٧.

الجليل أبي ذر عندما سبه رجل، فرد عليه بأن عيره بأمه[1].

ثانيا: المقاطعة والهجر: وقد استخدم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذا الأسلوب في عقاب الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فقد نهى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المسلمين عن كلامهم لمدة خمسن يوماً، وبعد أن مضت أربعون من الخمسين شدد العقوبة بأن أمرهم باعتزال زوجاتهم، فلا يقربنهم حتي كمل خمسون ليله، فنزل قوله تعالي: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.... الآيات﴾[2].

ثالثاً: الضرب: وهو عقوبة يقرها الإسلام ويعترف بها، ولكن بعد أن تخفق الوسائل الأخرى في العلاج: كما ورد في علاج الزوجة الناشز التي لا تطيع زوجها، والضرب علاج للأبناء الذين لا يصلون بعد أن تعجز أساليب الوعظ والنصيحة والإغراء قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "مروا اولادكم بالصلاة وهو ابناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم عليها وهم ابناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"[3].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، ١٢٨٢/٣، رقم١٦٦١.

(٢) التوبة ١١٧-١١٩.

(٣) رواه أبو دواد، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ٢٣٤/١ رقم ٤٩٥.

رابعاً: التهديد والوعيد: لون من ألوان العقاب، والإسلام يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ.

فهو مرة يهدد بعدم رضاء الله وذلك أيسر التهديد، وإن كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين، ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء في حديث الإفك) وتلك درجة أشد، ومرة يهدد بحرب الله رسوله، ومرة يهدد بعقاب الآخرة، ثم يهدد بالعقاب في الدنيا، درجات متفاوتة لدرجات من الناس! فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه، ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف، ومنهم ما لا يردعه إلا الغضب الجاهز الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم[1].

الوسيلة الخامسة: الأسوة:

إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المثل الأعلى للمسلم، والأسوة الحسنة، والقدرة الطيبة.

ولا شك في أن القدوة من أنجح أساليب تكوين الخلق، فالله عَزَّوَجَلَّ عندما أراد إنزال المنهج الأخلاقي في القرآن يسمع ويقرأ، أراد أيضاً أن يكون سلوك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تطبيقاً لهذا المنهج يحس ويشاهد.

وصدقت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إجابتها لمن سألها: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت بلى،

(١) منهج التربية الإسلامية، ص ١٩١.

قالت: فإن خلق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن[1].

وكان قدوة للناس في واقع الأرض، يرونه - وهو بشر منهم- تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات كلها، فيصدقون هذه المبادئ الحية؛ لأنهم يرونها رأى العين، ولا يقرؤونها في كتاب! ويرونها في بشر فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم، ويحاولون أن يقبسوا قبسات من الرسول كل بقدر ما يطيق أن يقبس، وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصعود، لا ييأسون ولا ينصرفون، ولا يدعونه حلما مترفاً لذيذاً يطوف بالأفهام، لأنهم يرونه واقعاً يتحرك في واقع الأرض، ويرونه سلوكاً عملياً لا أماني في الخيال.

لذلك كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به، سواء في ذلك القرآن المنزل وحديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وذلك أن الله قد أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان المثل الأعلى في الكمال البشرى.

ألم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلاً أعلى في تحري الصدق وأداء الأمانة، حتى اشتهر بالصادق الأمين؟

ألم يكن مثلا أعلى في التفاني في سبيل الحق؟ أليس هو القائل: يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر على يساري، على أن أترك هذا الأمر ما

(١) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافر، باب جامع صلاة الليل، ٥١٢/١، رقم ٧٤٦.

(٢) منهج التربية الإسلامية، ص ١٨٣.

تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه[1].

ألم يكن مثلاً أعلى في الشجاعة والإقدام؟ "لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»[2].

ألم يكن مثل أعلى في الرحمة؟ عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة الخفيفة»[3].

وسأله أصحابه أن يدعو على قريش بعد غزوة أحد فقال: "إن لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة"[4].

وكان المثل الأعلى للزوج، وللوالد، ولرب الأسرة، وكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تخصص في هذا الأمر فقط، ولم تشغله أعباء الأمة، ومشكلات الدولة.

سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصنع في البيت؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج»[5].

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/١٧٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام،٤/١٨٠٢، برقم ٢٣٠٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣/١٥٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، ٤/٢٠٠٧، برقم ٢٥٩٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب خدمة الرجل أهله، ٩/٥٠٧، برقم

وعن حلمه أسوق هذا المثل الفريد، وهو قصة ذلك الأعرابي الذى تطاولت يده عليه صلى الله علية وسلم:" كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يجلس معنا في المجلس يحدثنا، فإذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه، فحدثنا يوما فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته، قال أبو هريرة: وكان رداء خشنا، فالتفت، فقال له الأعرابي: احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا، وأستغفر الله، لا، وأستغفر الله، لا، وأستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني» فكل ذلك يقول له الأعرابي: والله لا أقيدكها، فذكر الحديث، قال: ثم دعا رجلا فقال له " احمل له على بعيريه هذين: على بعير شعيرا، وعلى الآخر تمرا " ثم التفت إلينا فقال: «انصرفوا على بركة الله تعالى»[1].

أرأيت إلى هذا الحلم العظيم، وإلى هذا الخلق الكريم!!

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: «ما خير النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله»[2].

نعم لا ينتقم لنفسه وإن شاء إليه الآخرون، ولكن يحلم ويصبر

=

٥٣٦٣.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحلم وحسن الخلق،١٣/١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب المفرد، باب إقامة الحدود والانتقام للحرمات، ١/٣٧٢.

ويصفح!!

عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة؟ قال: " أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا}، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا "[1].

وأما حياؤه: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من جارية في خدرها وكان إذا كره شيئا عرف في وجهه»[2].

وقد كان المثل الأعلى في خلق التواضع، عن أنس، قال: «ما رأيت رجلا قط التقم أذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينحي رأسه، حتى ينحي الرجل رأسه، وما رأيت أحدا قط أخذ بيد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يترك يده، وما مسست قط ألين من جلد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما وجدت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[3].

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب المفرد، باب كراهية السخب في الأسواق،١/٢٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، ٤/١٨٠٩.

(٣) رواه أبو دواد في كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، ١٣/١٤٩.

وكان أصحابه لا يقومون له، لما يعلمون من كراهته لذلك، وكان يمر علي الصبيان، فيسلم عليهم، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، كأنه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو، حتى يسأل عنه، هكذا كان تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وماذا ترك رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد موته من أمور الدنيا؟

عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخي جويرية بنت الحارث، قال: «ما ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضا جعلها صدقة»[1].

ولا نريد أن نسترسل في ذكر جوانب أخري من شخصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه، لان الكلام عنها لا ينتهي، إنما نريد هنا أن نؤكد على أن القدوة من أدق وسائل تربية الأخلاق، وأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو قدوة المسلم:

هو قدوة في بيته، وفي تربيته لأبنائه، وهو قدوة في عمله، وفي مجال ارتزاقه، وهو قدوة في مجتمعه، وفي تعامله مع غيره، وهو قدوة في كل ما يأتي، وفي كل ما يدع، وبهذا تبني الأخلاق، وبهذا ينصلح حال المسلمين.

الأخلاق الفاضلة والأمن والاستقرار:

الخلق ما رسخ في النفس وصدرت عنه الأفعال الإدارية، وهو يتأثر

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصايا، ٣٥٦/٥، برقم ٢٧٣٩.

بالتربية الحسنة والسيئة، فهي التي تجعل هناك قابلية للفضائل ومعرفة الحق والواجب وحب الخير، وهي التي تصنع العكس، ومن هنا نوه الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته بين المسلمين، وقد مدح الحق رسوله محمدا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، وأمره بمحاسن الأخلاق: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤].

وقال رسول الله محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، من هنا فإن العقيدة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بمحاسن الأخلاق والمواطنة الصالحة متحققة في بساط شديدة إذا حسنت أخلاق الناس:

- لا بذاءة في طريق.
- والطريق آخذ حقه إماطة الأذى بأنواعه عنه.
- الناس تتعامل في مودة ورفق وإيثار.
- لا كسب حرام.
- ولا نهب ولا سلب.
- لا غش في الحياة اليومية.
- الجار يعرف حق جاره.
- المرؤوس يجل رئيسه.
- والرئيس يعطف على المرؤوس ويرحم ولا يخلط بين الحزم والرحمة،

هذه هي المواطنة الصالحة!

بقي أن نقف قليلا عند بعض الأخلاق الفاضلة إجلالا لشأنها وتأكيدا لقيمتها في إعداد المواطن الصالح الغيور على دينه وعلى سلامة وطنه ومواطنيه ولنبدأ بالأمانة:

أولا: الأمانة: قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢].

بهذا يرينا القرآن قدر الأمانة ثم يقرن خيانتها بخيانة الله والرسول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

ويقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[1]. وأمانة المواطن الصالح تتجلى وهو يعمل، كداً واجتهاداً، ومستوى للأداء في العمل دائما بهدف الارتفاع به ويتخذ شتى الطرق والوسائل لذلك، يحافظ على أسرار مهنته وعمله ولا يجعله محل أحاديث سهراته وأسماره وأمانة المواطن تبدو في المحافظة على أسرار بلده، لا يتحدث عما يعرف أمام من هب ودب فلعل في حافلة عامة عدوا أو جاسوسا من أعداء بلده، وتبدو في المحافظة على أسرار الناس التي اؤتمن عليها والودائع التي تودع لدينا أمانات يلزم الاهتمام بالحفاظ عليها وردها لأهلها {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨]، وعندما

(١) اخرجه احمد في مسنده، ١٩/٣٧٥.

تنتشر الأمانة وتعم في المجتمع فإن الصورة تكون بالغة الحد من الجمال.

معلم يرعى الأمانة في تعليم أبنائه وتنشئتهم التنشئة الصالحة التي تخدم وطنهم وتخدم أهلهم وتخدمهم أنفسهم، وطبيب يرعى الأمانة في مرضاه - يخفف عن المعاني معاناته ولا يهمل المريض ويتركه في حال من السوء لا يرضاها الله، وأم ترعى الأمانة في أولادها فتخرج من البيوت رجالا يبنون الوطن ويعرفون قيمته ويحافظون على أمنه وسلامته، وتاجر أمين يخدم المجتمع الذي يعطيه القوة والثراء ويرعى الله في كيل الميزان وفي كل ما يقدم للناس وفي معاملاته التجارية، وصانع أمين إذا بنى، وإذا أنتج مصنوعا يقدمه إلى بني وطنه.

إن الأمانة في المجتمع هي صانعة أمن النفس لدى الناس، فلا أحد يظل متشككا خائفا من غبن أو نهب أو تهاون في أداء الواجب، إن الأمانة هي الخلق الأساس للمواطن الصالح في نظر الإسلام.

ثانيا: الوفاء: قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ١٠].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١].

والعهود التي يرتبط بها المواطن المسلم درجات، أسماها وأعلاها وأقدسها هو العهد الأعظم بين العبد وربه، والوفاء بهذا العهد هو أساس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ومن أهم العقود واجبة الوفاء العقد الذي بين المواطن الذي بايعه على كتاب الله وسنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فالمسلم مطالب بالالتزام بهذا العقد وعدم الخروج عليه لأن الخروج عنه تمزيق لوحدة الأمة وضياع لمصالحها وتعطيل لمقاصدها.

ثالثاً: الإخلاص: رياء أن تعمل شيئا ليقال إنك تعمل، وإخلاص أن تعمل الشيء لأنه يجب أن يعمل.

قال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: ١١].

وقال جَلَّ وَعَلَا: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥].

ويقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض»[(١)]. وقد عد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمن ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: «رجل بايع إمامه ولا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه سخط»[(٢)]، هل بايع من أجل وظيفة أم من أجل التخلص من ورطة أم من أجل القيام على الدين والعدل والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فالرياء في العبادة محرم في الإسلام، والرياء في المعاملة محرم في الإسلام، والإخلاص واجب للرب والعباد وهو أوجب ما يكون في ميادين العلم والثقافة، فالمجتمع الذي يزدان بعلماء مخلصين هو مجتمع النور والفضيلة والمعرفة الحقة، والمجتمع الذي يفتقد هؤلاء نصيبه

(١) اخرجه ابن ماجه في سننه، باب الايمان، ٢٧/١، رقم (٧٠).

(٢) اخرجه احمد في مسنده، ٣٦٤/١٥.

الجراحات القاتلة من علماء فقدوا الإخلاص فضلوا وأضلوا ذويهم وبني وطنهم.

إن الحاكم المخلص يبدو من أعماله، من استقرار بلاده، من تمتعها بالأمن والأمان والرفاهية وكافة الخدمات، فلنخلص لله جهد إيماننا ولنخلص لوطننا وأبنائه لننعم باستمرار بنعمة الأمن والاستقرار في بلادنا.

رابعا: الصدق: هو فضيلة الفضائل التي يتحلى بها المواطن الصالح، ويعود نجاح الأمم في تحقيق أهدافها لما يقدمه بنوها من صادق الأعمال، والمسلم صادق يلتزم بالصدق ظاهرا وباطنا، فهو يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، والمواطن الصالح يعلم أن الصدق من متممات الإيمان قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]. ووصف القرآن عظماء الرجال {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]. وقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: ٥٤].

ويقول الرسول الكريم: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب»[(١)]. والصدق يكون في القول وفي العقيدة وفي العمل وهو شقيق الإخلاص ومواكبه، والصدق في العقيدة أن يكون مطابقا لأصل الوجود فالإله واحد يبدئ ويعيد، فعال لما يريد لا ند له ولا شريك، والصدق في العمل أن يكون خالصا لله، لا يشوبه رياء، والصدق في الوعد ألا يخلف

(١) أخرجه أبو دواد في سننه، باب المعاريض، ٢٩٣/٤، رقم ٤٩٧١.

المواطن الصالح وعدا وعده وصدق الحال ألا تظهر بمظهر ليس منا في شيء ولا ينطبق غير ما نظهر للناس.

ومن آثار الصدق الطمأنينة كما يقول الرسول عليه السلام: «والصدق طمأنينة». فهو يؤدي بالحتم إلى اطمئنان النفس وعدم القلق، والصدق في الشهادة تبلغ الإنسان منازل الشهداء، والإنسان الصادق لا يفتري على الله شيئا ولا على إمامه ولا على عامة أهله، قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مكانه من النار»[1]. وفي نطاق هذا الافتراء سائر ما ابتدعه الجهال وأقحموه على الدين من محدثات لا أصل لها وقد نبه عنهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدثونكم بما لا تسمعون أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»[2].

من هنا فإن الصدق من أهم مقومات المواطنة الصالحة التي تبني ولا تهدم وتثبت نعمة الأمن والاستقرار ولا تزعزعها.

خامسا الصبر: والصبر سلاح المؤمن على تحمل الحياة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]. وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١/٢٢٥ برقم ١٠٦، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١/٣٦٠، برقم ١.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، ١/ ٢٤٥.

قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

والآيات في كتاب الله تحض على الصبر، وأتبعها الرسول الكريم في سنته بكثير من الأحاديث، ويقوم الفكر الإسلامي في التركيز على الحض على الصبر على حقيقتين مهمتين: الأولى تتعلق بطبيعة الحياة الدنيا فإن الله تعالى لم يجعلها دار جزاء وقرار بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والحياة فيها صراع مستمر يحتاج إلى صبر لا يعرف الكلال، الثانية تتعلق بطبيعة الإيمان وهو صلة بين العبد وربه لا بد أن تخضع للارتباك الذي يمحصها ويكشف عن أصالتها أو زيفها.

على هاتين الحقيقتين يقوم الصبر، ومن طبع الإنسان الجزوع أنه لا يقدر على الصبر، ولمكانة الصبر في الإسلام اقترن بالشكر {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى: ٣٣]، واقترن بالتوكل {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٤٢] (٤) وبالتقوى {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦].

والصبر هو النور الذي يهدي إلى الطريق المستقيم ويساعد على حل المشكلات ويمنع الاكتئاب النفسي الذي هو سمة من سمات العصر الذي نعيشه، وهو مانع القلق النفسي المدمر الذي يعد بحق أحد أسباب الفوضى الاجتماعية المؤدية إلى انفلات حبل الأمن واضطراب الأحوال.

المبحث الثالث

الابتعاد عن مساوئ الأخلاق

وهذا المبحث من أهم الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت، وبناء الأمة يقوم على أخلاقها، والمجتمع الذي تسوده الأخلاق الإسلامية الفاضلة- التي ذكرنا بعضها سابقا- حري بالنمو والبقاء وحري بأن يكون لخير أمة أخرجت للناس.

وعندما نتعرض لعدد من الأمراض الاجتماعية، فنحن لا نعني بالضرورة وجودها أو استشرائها في مجتمعنا الفاضل الكريم، ولكنا نتناولها بالدراسة إعمالاً لقول الحق تبارك وتعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى: ٩] وعندما يوضح الداء والدواء أمام كل ذي عينين فإن ذلك سوف يكون بالقطع وقاية قبل أن يكون علاجا.

ونورد هنا أمثلة فحسب من الأخلاق التي تتفشى في كل مجتمع لينتبه إلى خطورتها وحجم أضرارها ومساهمتها في تفتيت الوحدة الاجتماعية، وإثارة الفتن والخلافات ولنبدأ:

أولا: الحسد: وهو كراهية الخير للناس وتمني زوال النعمة عنهم، فإذا أخذت هذه الصفة خطوات إيجابية بالعمل الممقوت والوشاية الضالة المضلة فإنما يصدق عليها قول الحق: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا

حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

وعندما يهب الرسول مناديا: «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا»[١]. فهو إنما يخشى على أمته من شر الحسد ويقول: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٢]، ومجتمع يخلو من الحسد هو مجتمع فاضل، الابتسامة الصادقة هي أهم سماته، لا كراهية ولا بغض، بل احترام وتعاون ومحبة..

إنه مجتمع التعاون والمودة، أغبط أخي ولا أحسده وأدعو له ثم أدعو لنفسي أن يهيئ الله لي مثل ما هيأ له. والحاكم لا يحسد على عدله بل يشكر، ولا يحسد على حكمه بل يشكر، ولا يحسد على سلطانه فسلطانه هو الذي يقيم العدل وينشر الحكمة.

والعبقري لا يحسد على ما أوتي فأغلب العبقرية جهد واجتهاد، وعلى كل منا أن يعلم أن لكل مجتهد نصيبا، عمل بلا حسد هو البناء الحقيقي للأمة، والبناء الحقيقي للأمة هو دعامة استتباب الأمن والاستقرار فيها.

ثانيا: النفاق: قال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: ٦٧].

من المنافق؟ يحدثنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع من كن فيه كان منافقا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، **بَابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا}**، ٢٠/٨، **رقم ٦٠٦٦**.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب الحسد، ٢٦٤/٧، رقم ٤٩٠٣.

خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1] والمنافق دائما في حالة خوف وتربص، معرض عن الصلاة، ساخر من الصالحين أو يدعي الإيمان وهو على غير ذلك، ومن صفات النفاق

الكثيرة الحلف بالباطل والمراوغة وكشف أسرار أمن الوطن وخيانته والعمل على النيل من أمنه واستقراره.

ثالثاً: النميمة: وهي السعي بين الناس بالدس والوقيعة، قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ - هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١٠ - ١١].

وقد أخبرنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: «لا يدخل الجنة نمام»[2] والنمام زارع فتنة، مقطع رحم، غراب بين لا يحب إلا الخراب، وقد رسم لنا القرآن ما نعمل تجاهه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

ولا يخفى على كل لبيب أن نقل الأنباء للمصلحة والمنفعة لا يدخل في باب النميمة، أو الشكوى للملوك من الولاة الظالمين فهذا واجب للنصح للحاكم والدين النصيحة، والغيبة أخت النميمة فالنيل من الغائب وذكره بما يكره غيبة وهي كراهية لا تولد إلا كراهية، والمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء كما وصفه رسولنا الأمين، ويؤكد لنا بقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصاد

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، بَابُ علامة المنافق، ١٦/١، رقم ٣٤.

(٢) اخرجه احمد في مسنده، ٤٣٩/٣٨.

ألسنتهم».

رابعا: **الرشوة**: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لعن الله الراشي والمرتشي»[1]، قول رسول الله الفصل في هذا الخلق الذميم، والرشوة رشوة وإن سموها هدية أو دخلت في صورة تهاون في تجارة أو إبراء من دين. وهي فخ المروءة ومضيعة الحقوق بين الناس.

«استعمل الرسول رجلا من بني أسد على صدقة - فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي فصعد الرسول المنبر وقال: " ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول: هذا أهدي لي فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاه تبعر ثم رفع يده حتى رأينا عفرتي إبطه قائلا ثلاثا ألا هل بلغت»[2].

خامسا: **الظلم**: قال تعالى: {وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا} [الفرقان: ١٩] هذا هو موقف القرآن من الظالم. «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[3]، وهذا ما يحدث به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن رب العزة الحاكم العادل، وكذلك قول الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته»[4]، وظلم العبد لغيره

(١) اخرجه احمد في مسنده، ٨/١٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاحكام، بَابُ هدايا العمال، ٧٠/٩، رقم ٧١٤٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، بَابُ تحريم الظلم، ١٩٩٤/٤، رقم ٢٥٧٧.

(٤) اخرجه البزار في مسنده، ١٦٢/٨.

ليس أكبر من ظلم الإنسان لنفسه، فالكفر ظلم للنفس وارتكاب الموبقات ظلم للنفس، وشرب الخمر وإذهاب العقل وسوء التصرف في الصحة الجسمية والعقلية والنفسية ظلم للنفس، وما ساد ظلم في مجتمع إلا دبت فيه الفوضى وآل إلى دمار.

هذه نماذج من مدمرات المجتمع القاضيات على استقراره نوردها على سبيل الأمثلة لا الحصر، ونستعيذ بالله منها ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وندعو الله مخلصين أن يحفظ علينا أمن بلادنا واستقرارها ويوفق قادتها لما فيه صالح العباد والبلاد وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد إتمام البحث بعون من الملك المعبود، أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في إبراز أهم معالم التحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء الاسلام.

ولتمام الفائدة فإنني أحاول إبراز النقاط الرئيسية التي توصلت إليها من هذا البحث وهي كما يلي:

١- ان المواطنة في الإسلام هي: مجموعة العلاقات والروابط التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن في هذه الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين.

٢- ان مقومات المواطنة الصالحة في الإسلام تقوم على ثلاث دعائم رئيسية: هي التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة على شريعتها ثم التمسك بأخلاق الإسلام، وأخيرا الابتعاد عن مساوئ الأخلاق.

٣- ان الأمن أثر من آثار الإيمان، وثمرة من ثمرات العقيدة والتوحيد.

٤- إن العقيدة الإسلامية الحقة تولد في نفس معتقدها طمأنينة نفس، لا قلقا نفسيا يدمر الإنسان، بل أمنا يدفع إلى العمل والإنتاج، وهي تذكر المسلم دائما بربه وتبعد عن الانهماك في مشكلات الحياة ناسيا ربه، بل توجد رقيبا داخليا على المسلم من نفسه، وتجعل المسلم عفيفا شريفا، وتحد من الصراع والاحتكاك والاعتداء والظلم، بهذا تصلح أمور

المجتمع وتستقيم حياته اليومية.

٥- ان الخلق هو " هيئة فى النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية"، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً".

٦- إن إعداد المواطن الصالح الغيور على دينه وعلى سلامة وطنه ومواطنيه يجب أن يتصف بالأمانة والوفاء والإخلاص والصدق والصبر.

٧- ان من أهم الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا هو الابتعاد عن مساوئ الأخلاق كالحسد والنفاق والنميمة والرشوة والظلم.

هذا وإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبي أنى اجتهدت وحاولت وحللت وبينت والكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولله الحمد أولاً وأخراً وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

أهم المراجع والمصادر

- ابن تيمية، "الوصية الكبرى" مكتبة الصديق - الطائف؛ سنة النشر: ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م.
- ابن حزم، الاحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت
- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية.
- ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار إحياء التراث ـ بيروت (د.ت).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط/١، عالم الكتب ٢٠٠٨م.
- إحياء علوم الدين للغزالي،
- الأمير، حاشية الأمير على الجوهرة، مصطفي الحلبي ١٩٤٤م.
- البخاري، صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط/ دار ابن كثير، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.
- تقويم مناهج التربية الوطنية في مراحل التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ص ٤٢، وزارة المعارف وكالة التطوير التربوي ـ الرياض ٢٠٠٤م.
- د. سليمان دنيا، التفكير الفلسفي الإسلامي، مكتبة الخانجي بمصر.
- د. عثمان جمعة ضميرية، عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي"، الشيخ ناصر بن حمد الراشد، مكتبة السوادي، جدة، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- د/ جمال عفيفي، اسس فلسفة الأخلاق، دار الطباعة المحمدية.
- د/ محمد ربيع الجوهري عقيدتنا، ١/ ١٧، مكتبة الايمان.
- د/ محمود عبد المعطي بركات، مباحث فى الأخلاق، ط/١، دار وهبه، ١٩٩٠م.
- الرازي، مختار الصحاح، ط/٥، ١٩٩٩م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.
- سعد الدين التفتازاني، تهذيب الكلام، ص: ٨، ط/١، الفاروق الحديثة للطباعة وال شر٢٠٠١م.

- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، دار الشرق ١٩٨٦
- الشاطبي الموافقات، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن عفان.
- الشيخ محمد عبده، كتاب رسالة التوحيد ،٢٠٠٩م.
- عضد الدين الإيجي، المواقف، ص ٧، دار الكتب العلمية بيروت.
- علي خليفة الكواري، المواطنة والديموقراطية في البلدان العربية، ص ٣١، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان.
- عماد الدين محمد رشيد، المواطنة في المفهوم الإسلامي، ط/ نحو القمة ٢٠٠٦م ـ دمشق.
- عياض عاشور، التصورات الدستورية في الإسلام السني، ط/ مطبعة النجاح الجديدة ١٩٩٩م ـ الدار البيضاء.
- عيسى الشماس، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية، ط/١، اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٨م- دمشق.
- محمد البهي، "الفكر الإسلامي الحديث" مكتبة وهبة، سنة النشر: ١٣٨٣ - ١٩٦٤م.
- محمد أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ط/ ١٦، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ١٩٦٤م.
- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم الملايين.
- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان ١٩٨٤م، بيروت.
- مسلم صحيح مسلم، لأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/ دار طيبة، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- ميشل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تعريب: عادل الهواري، سعد مصلوح، ط/مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨٤م.
- يحيي عبد الرحمن القحطاني، المواطنة أسسها ومقوماتها، ط/ مطبعة الفرزدق ١٤١٩هـ- الرياض.

Most important references and sources

- Ibn Taymiyyah, "The Great Will", Al-Siddiq Library - Taif; Publication year: 1408 AH - 1987 AD.
- Ibn Hazm, Al-Ahkam, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, Beirut
- Ibn Miskawayh, Refining Morals and Purifying Races, Library of Religious Culture.
- Ibn Manzoor, Lisan Al Arab, 3rd Edition, Heritage Revival House - Beirut (d. T).
- Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, Dictionary of Contemporary Arabic Language, I/1, World of Books 2008 AD.
- The Revival of Religious Sciences by Al-Ghazali.
- The Prince, the entourage of the Prince on the Jewel, Mustafa Al-Halabi, 1944 AD.
- Al-Bukhari, Sahih Al-Bukhari, by Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, ed / Dar Ibn Katheer, first edition, year 2002 AD.
- Evaluation of National Education Curricula in General Education Stages in the Kingdom of Saudi Arabia, p. 42, Ministry of Education, Agency for Educational Development - Riyadh 2004.
- Dr.. Suleiman Dunya, Islamic Philosophical Thinking, Al-Khanji Library, Egypt.
- Dr.. Othman Juma'a Conscience, The World of the Unseen and the Martyrdom in Islamic Perception", Sheikh Nasser bin Hamad Al-Rashed, Al-Sawadi Library, Jeddah, I 1, 1408 AH / 1988 AD
- Dr. Jamal Afifi, Foundations of the Philosophy of Ethics, Muhammadiyah Printing House.
- Dr. Muhammad Rabie Al-Gohary, Our Creed, 1/17, Al-Iman Library.
- Dr. Mahmoud Abdel Muti Barakat, Investigations in Ethics, I/1, Dar Wahba, 1990 AD.
- Al-Razi, Mukhtar Al-Sahah, i/5, 1999 AD, Al-Asriya Library - Al-Dar Al-Tamazilah, Beirut - Saida
- Saad Al-Din Al-Taftazani, Tahdheeb Al-Kalam, p. 8, i/1, Al-Farouq Al-Haditha for Printing and No. 2001 AD.

- Sayyid Qutb, Characteristics of Islamic Perception, Dar Al-Sharq 1986
- Al-Shatby Al-Muwafaqat, first edition 1417 AH / 1997 AD, Dar Ibn Affan.
- Sheikh Muhammad Abdo, The Book of Unity Message, 2009 AD.
- Adud al-Din al-Iji, al-Mawqif, p. 7, Dar al-Kutub al-Ilmiyya Beirut.
- Ali Khalifa Al-Kuwari, Citizenship and Democracy in the Arab Countries, p. 31, i 1, Center for Unity Studies Al Arabiya, Beirut, Lebanon.
- Imad Al-Din Muhammad Rashid, Citizenship in the Islamic Concept, i / Towards the Summit 2006 AD - Damascus.
- Ayyad Ashour, Constitutional Perceptions in Sunni Islam, I / New An-Najah Press 1999 AD - Casablanca.
- Issa Al-Shamas, Civil Society, Citizenship and Democracy, I/1, Arab Writers Union 2008 - Damascus.
- Muhammad Al-Bahi, “Modern Islamic Thought,” Wahba Library, year of publication: 1383 - 1964 AD.
- Muhammad Ahmad Al-Hamalawy, Shatha Al-Urf in the Art of Exchange, I / 16, Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Press, 1964 AD
- Muhammad Asad, Islam at the crossroads, House of Science Millions.
- Muhammad Al-Adnani, Dictionary of Contemporary Linguistic Errors, Library of Lebanon, 1984 AD - Beirut.
- Muslim Sahih Muslim, by Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi, i / Dar Taiba, year 1427 AH - 2006 AD.
- Michel Mann, Encyclopedia of Social Sciences, Arabization: Adel Al-Hawari, Saad Maslouh, I / Al-Falah Library - Kuwait 1984 AD.
- Yahya Abdul Rahman Al-Qahtani, Citizenship: Its Foundations and Constituents, ed / Al-Farazdaq Press, 1419 AH - Riyadh.

فهـــرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
ملخص البحث	١٧٧
المقدمة	١٧٩
تمهيد في مفهوم المواطنة	١٨٢
المبحث الأول: التمسك بالعقيدة الإسلامية والمحافظة عليها	١٩٢
خصائص العقيدة الإسلامية:	١٩٦
المبحث الثاني: التمسك بأخلاق الإسلام	٢١٠
وسائل تكوين الاخلاق الفاضلة:	٢١٤
الأخلاق الفاضلة والأمن والاستقرار:	٢٣١
أولا: الأمانة	٢٣٣
ثانيا: الوفاء	٢٣٤
ثالثاً: الإخلاص	٢٣٥
رابعا: الصدق:	٢٣٦
خامسا الصبر	٢٣٧
المبحث الثالث: الابتعاد عن مساوئ الأخلاق	٢٣٩
أولا: الحسد	٢٣٩
ثانيا: النفاق	٢٤٠
ثالثاً: النميمة:	٢٤١
رابعا: الرشوة	٢٤٢
خامسا: الظلم	٢٤٢
الخاتمة	٢٤٤
فهرس الموضوعات	٢٥٠